

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## الحافظ محمد بن طاهر المقدسي حياته وآثاره

عبدالرحمن بن عبدالجبار الفريوائي

تقديم:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله

الكريم، أما بعد:

فإن من نعم الله على أهل الإسلام أن ازدهر العالم الإسلامي،  
بخدماء هذا الدين المتين، من المفسرين، والمحدثين، والفقهاء،  
والأصوليين، والمؤرخين، وغيرهم، تزخر بذكرهم كتب السير  
والتاريخ والتراجم، ومن هؤلاء الأئمة الحفاظ الذي برز اسمه من  
الأعلام المشهورة في القرن الخامس والسادس بخدمته لعلوم  
الحديث. وفنونه المتنوعة الإمام الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر  
المقدسي المعروف بابن القيسراني، الذي يعد من المكثرين في

التأليف في الحديث، والرجال، والتاريخ، والفقه، والتصوف، وكان من الرحالين المشهورين في العالم الإسلامي، وهو ممن يستحق إفراد ترجمته في رسالة مستقلة لاحتواء أخباره من مختلف المصادر، وقد وفقني الله لإفراد ترجمته وهي بين أيديكم، وقد بذلت في جمع مادتها جهداً طيباً، حيث استخرجت كثيراً من جوانب حياته، وخاصة فيما يتعلق بشيوخه، وتلاميذه، ومسموعاته، ومروياته من أقواله، ومن مؤلفاته، ومن المراجع الأخرى التي اعتنت بترجمته، أو من كتب أخرى من كتب أهل العلم التي جاء فيها شيء يتعلق بحياة هذا العالم الكبير الذي نفع الله بمؤلفاته المتنوعة والكثيرة، وصارت مرجعاً مهماً لكثير من الكتب الموسوعية في تراجم الرجال والأحاديث، وقد رتبت هذه الفوائد في فصول عديدة، وهي كالتالي:

- ١- الفصل الأول: في عصره، ويشتمل على عدة مباحث.
- ٢- والفصل الثاني: في حياته وسيرته ومكانته العلمية.
- ٣- والفصل الثالث: في مروياته، ودقته في اختيار الشيوخ، واختيار مروياتهم.
- ٤- والفصل الرابع: في ذكر شيوخه.
- ٥- والفصل الخامس: في ذكر تلاميذه وأصحابه.
- ٦- والفصل السادس: في ذكر آثاره ومؤلفاته.
- ٧- والفصل السابع: في ذكر فوائد متفرقة من كلام ابن طاهر أو من روايته.

## الفصل الأول

### في عصر الحافظ ابن طاهر المقدسي

إن دراسة عصر أي عالم من العلماء لها أهمية لمعرفة أفكاره وآرائه إذ الإنسان وليد عصره، وحوادث العصر تؤثر في عقليته، وتشكيله الفكري، وحوادث العصر عنصر مؤثر ومهم في حياة الإنسان، وكثير من الأعمال والمشاريع التي ينجزها الإنسان يكون لعصره وزمنه تأثير فيه وعليه، فكم من خدمات جليلة علمية ودينية رهينة بتأثير الأثر في تشجيع العالم على القيام بهذه المهمة، وأداء تلك المسؤولية، ثم تقييم العالم ينبغي أن يكون من خلال الإمكانيات المتاحة في عصره، وتقارن جهوده بجهود معاصريه، ثم يقوم هذا العالم بالتأثير على من حوله، وكتب التاريخ والتراجم مليئة بنماذج هذا التأثير والتأثير، ولأجل هذا جرت عادة أهل العلم الإمام بعصر من أرادوا تسليط الضوء على حياته، والحافظ ابن طاهر المقدسي كأفراد الملة الذي نشأ في عصره وتأثر به كما أثر فيه، ولأجل هذا أحببت أن أبدأ بذكر بعض ما يتعلق بعصره، وبالله التوفيق.

#### الحالة السياسية:

عاش الحافظ ابن طاهر المقدسي في العصر العباسي الثاني حيث ضعف كيان الدولة الإسلامية وتفكك، وذلك بسبب كثرة الطامعين في السلطة من الأعداء، ولا سيما الباطنية التي تضر

للإسلام والمسلمين كل حقد وبغضاء، وبسبب تسلط الغلمان والنساء على شؤون الخلافة الإسلامية مما زاد في طمع الطامعين في تمزيق الدولة الإسلامية.

وقد أدى ضعف الدولة العباسية إلى ظهور قادة وطامعين هنا وهناك، كل منهم يهدف إلى تكوين كيان مستقل، ودولة ذات سيادة، لتنتقل منها إلى الاعتداء على غيرها من الدويلات والاستيلاء على ما تحت يدها.

### = الخلفاء العباسيون في عصر المقدسي<sup>(١)</sup>:

عاش الحافظ المقدسي عصور الخلفاء العباسيين كالآتي:

١- عصر القاسم بأمر الله أبو جعفر عبدالله بن القادر بالله (٤٢٢-٤٦٨هـ).

٢- وعصر المقتدي بأمر الله عبدالله بن الذخيرة محمد بن القائم (٤٦٧-٤٨٧هـ).

٣- وعصر المستظهر بالله أبو العباس أحمد بن المقتدي (٤٨٧-٥١٣هـ).

### = حال الممالك الإسلامية في عصره<sup>(٢)</sup>:

١- وكان بالأندلس والمغرب الأقصى دولة الملتهمين، والقائم بأمرهم يوسف بن تاشفين إلى سنة ٤٨٠هـ، ثم بعده ابنه علي إلى سنة ٥٣٧هـ.

- ٢- وكان بمصر من الفاطميين: المستعلي أبو القاسم أحمد بن المستنصر إلى سنة ٤٩٥هـ ثم الأمير بأحكام الله علي بن المستعلي إلى سنة ٥٢٤هـ.
- ٣- وبزيد من اليمن من الدولة النجاشية: الأمير جيش من نجاح سنة ٤٩٨هـ ثم ابنه فاتك سنة ٥٠٣هـ.
- ٤- وبصنعاء: الأمير حاتم بن هاشم الهمداني إلى سنة ٥٠٢هـ ثم ابنه عبدالله ومعن إلى سنة ٥١٠هـ.
- ٥- وما عدا ذلك من البلدان الإسلامية في آسيا فهو محكوم بدولة السلاجقة.

ومن خلال هذا العرض لحالة الخلافة والممالك الإسلامية يتضح مدى التفكك والتمزق في البلاد الإسلامية، ويلاحظ أن بعض الخلفاء العباسيين في هذا العصر كانت خلافتهم تنتهي إما بقتل أو الخلع من قبل السلطان والغلمان.

وفي هذه الظروف القاسية من الضعف والانقسام التي كان يعاني منها العالم الإسلامي، وجدت أوروبا الصليبية الفرصة مواتية لغزو الشرق الإسلامي، وإقامة كيان صليبي فيه، وقد وصلت الحملة الصليبية الأولى إلى الشام عام ٤٩١هـ، وسقطت مدينة القدس عام ٤٩٢هـ في أيديهم<sup>(٣)</sup>.

## الحالة الاجتماعية في عصر ابن طاهر:

كان المجتمع الإسلامي في عصر المقدسي مكوناً من أجناس مختلفة أهمها: الجنس العربي والفارسي والتركي، وأجناس أخرى ممن يسكنون المدن والقرى والخيام من مختلف الأقاليم والشعوب. وكان المجتمع على فئات متفاوتة بينها موازين الحياة<sup>(٤)</sup>، يسودها الدين الإسلامي، ولم يخل من أقليات من اليهود والنصارى الذين كانت لهم الحرية والأمن والأمان، ولهم كافة الصلاحيات في ممارسة شعائرهم، وتقلد مناصب كبيرة في الدولة، وعمل التجارة وغيرها، وكانت اللغة العربية هي اللغة السائدة، غير أنه تسبب اندماج هذه الأمم المتفرقة ذات النوازع المختلفة في مجتمع واحد إلى ظهور عادات وأخلاق غير إسلامية، مثل أعياد جاهلية: كالنيروز والمهرجان، وظهور نحل ومذاهب هدامة مختلفة، ومن ثم كثر الخلاف بين أصحاب النحل والأهواء حول الأديان، وحول الاعتزال والمسائل الكلامية، مما أدى إلى فتن ومحن، من أهمها ما حدث من الفتن الطائفية بين الشيعة والسنة سنة ٤٨٢ هـ، الأمر الذي جرّ إلى إزهاق الكثير من الأرواح، وتكررت أمثال هذه الحوادث بعد كل فترة دون انقطاع<sup>(٥)</sup>.

كما كانت تقع الفتن بين أهل السنة الحنابلة وبين الأشاعرة كما حدث سنة ٤٤٧ هـ حيث وقعت بينهما فتنة عظيمة، حتى تأخر الأشاعرة عن الجمعات خوفاً من الحنابلة<sup>(٦)</sup>، وهذا قبل ولادة ابن طاهر المقدسي بسنة، ثم وقعت فتن عديدة في فترات متقاربة ذكرها

أهل التاريخ مثل ابن الأثير في كتابه الكامل حيث ذكر في حوادث سنة ٤٦٩هـ، سنة ٤٧١هـ، سنة ٤٧٥هـ، وسنة ٤٨٢هـ بعض تفاصيل هذه الفتن<sup>(٧)</sup>.

يقول ابن الأثير في حوادث سنة (٤٩٤هـ): في هذه السنة في شهر رمضان تقدم الخليفة المستظهر بالله بفتح جامع القصر، صلى فيه صلاة التراويح، ولم تكن جرت بذلك عادة، وأمر بالجهر بيسم الله الرحمن الرحيم، وهذا أيضاً لم تجر به عادة، وإنما ترك الجهر بالبسملة في جوامع بغداد لأن العلويين أصحاب مصر كانوا يجهرون بها، فتوك ذلك مخالفة لهم، لا اتباعاً لمذهب أحمد الإمام، وأمر أيضاً بالقنوت على مذهب الشافعي، فلما كانت الليلة التاسعة والعشرون ختم في جامع القصر وازدحم الناس عنده<sup>(٨)</sup>.

كما ظهرت جماعة الباطنية، وهي جماعة إرهابية واسعة النشاط، فأخافوا البلاد والعباد، وقتلوا ونهبوا وعاثوا في الأرض فساداً<sup>(٩)</sup>.

وبلغ بهم التمرد إلى قتل الخلفاء والوزراء إلى أن كفى الله تعالى الناس شرهم على يد السلطان محمد بن ملكشاه (ت ٥١١هـ) ففضى عليهم<sup>(١٠)</sup>.

فوجود مثل هذا الجو لا بد أن يتأثر به الناس، ولعل ابن طاهر قد تأثر ببعض هذه الأحداث فقام بدوره يناصر مذهب أهل الحديث ويقف في تأييد مواقف أهل السنة، وأشاد بذكر المحدثين ومناقبهم، ثم إن رده على أبي الحسن الأشعري فيه انتصار لمذهب أهل

الحديث والحنابلة، وله كلام جيّد في فضل أهل الحديث، وخدمته لدواوين الإسلام، وتنويهه بأهمية هذه المراجع ففي كل هذا دليل على أنه تأثر بهذا الجو.

وله كلام جيّد في فضل أهل الحديث في مقدمة كتابه:

"مسألة العلو والنزول"، قال في أوّله:

سالت - أحسن الله لنا ولك التوفيق - عن علامة العلو في الحديث، وبأيّ شيء يعرف المبتدئ العلو من النزول، وأن أبين لك ذلك، وأشرحه على الاختصار مع إقامة الشواهد التي تهتدى بها إلى معرفة ذلك، اعلم أن الحديث وطلبه مندوب إليه، مثاب صاحبه عليه، ويرغب فيه أشرف الناس، ويزهد فيه الأغبياء الأذناس، أهله منصورون، وأعداؤه مقهورون ذكره الله عزوجل في كتابه، ودعا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطابه.

ولست أقصد أن أستقصي ما ذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة رضي الله عنهم وعن أئمة المسلمين قرناً بعد قرن ما في مدح هذه الفرقة - فرقة أصحاب الحديث - على أن لا تقام سنة، ولا تذل بدعة، ولا يؤمر بمعروف، ولا ينهى عن منكر إلا كان ذلك دليلاً على فضلهم لأنهم الذين رووه، ونقلوه، ودونوه حتى بلغ إلى من عمل به.

ومن خلال استعراضنا لحياة الحافظ ابن طاهر المقدسي لم نجد شيئاً يثبت علاقته بالملوك والأمراء إلا أن هناك بعض ما استفاد منه من اهتمامه بأمور الخلفاء، يقول ابن طاهر:



كنت ببغداد في سنة سبع وستين، فلما كان عشية اليوم الذي بويح فيه المقتدي بأمر الله دخلنا على الشيخ أبي إسحاق جماعة من أهل الشام وسألناه عن البيعة كيف كانت؟ فحكى لنا ما جرى ثم نظر إلي، وأنا يومئذ مختط، وقال: هو أشبه الناس وكان مولد المقتدي في الثاني عشر من جمادى الأولى سنة ثمان وأربعين وأربعمائة، ومولدي في سادس شوال من هذه السنة<sup>(١)</sup>.

وكذلك سرى الفساد في النظام المالي والقضائي، وانقسم ولاء الجيش لجهات متعددة، وفسدت أخلاق سكان المدن، خاصة مع ظهور كثرة العبيد والجواري.

وأمام هذه الحياة المضطربة لم يقف المصلحون مكتوفي الأيدي، بل بذلوا جهودهم في سبيل دعوة الناس، وإرشادهم ونصحهم إلى التمسك بدينهم، ومكافحة الشكوك التي يثيرها أصحاب الملل والنحل، ونظرة عابرة إلى كتب التراجم، والحالة العلمية لهذا العصر تبين عظم جهودهم وجهادهم في نصرة العقيدة، وخدمة العلم والدين.

وكان علماء الحديث والسنة يرون من مسؤولياتهم تجاه العلم والدعوة، وعمامة المسلمين أن يقوموا بأعباء التوجيه والإرشاد والتعليم، ونشر العلم والعقيدة والدين، وابن طاهر من أعلامهم البارزين الذي قضى حياته في إرساء قواعد العلم والدين، ونصح المجتمعات، ومؤلفاته العظيمة شاهدة على هذه النصيحة الطيبة،

والخدمة العظيمة إذ بالنور النبوي يستضيء كل مسلم، وينور قلبه،  
ويصلح حاله.

وأما التجارة فكانت لها أطوار مختلفة حسب الوضع  
الاجتماعي، وحسب الأمن والاستقرار، واختلف نشاطها وركودها  
من جهة إلى أخرى، ولكنها كانت متدهورة بصورة عامة في منطقة  
العراق وما حولها بسبب الفتن الداخلية، ظهور قطاع الطرق.

كل هذه الأمور مجتمعة أدت إلى انتشار الفوضى  
والاضطراب الاجتماعي<sup>(١٢)</sup> إلا أن طائفة المحدثين وابن طاهر  
أحدهم ما كان همهم الدنيا، ولا الاشتغال بالتجارة إلا ما يدر عليهم  
قوتهم اليومي، وهذا متيسر في كل زمان ومكان من غير عناء كبير،  
ومشقة كبيرة.

### الحياة العلمية في عصر ابن طاهر:

= الحالة العلمية (العامة):

رغم ما كان في هذا العصر من حروب وأحداث داخلية  
وخارجية، وجدت هناك حركات علمية ونهضات أدبية ازدهرت فيها  
الحضارة والعلوم والآداب، خلد التاريخ مآثرها ومفاخرها، أهمها:  
بناء المدارس في أنحاء أقطار العالم الإسلامي، وحظيت هذه  
الصروح العلمية باهتمام الملوك والأمراء والوزراء وتنافسهم في  
تشبيدها، وإحضار أفاضل العلماء لها، وتشجيع الطلاب على  
التحصيل فيها، فمن ذلك ما أسسه الوزير السلجوقي: نظام الملك

الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي (ت ٤٨٥هـ) من مدارس نظامية في المدن الإسلامية الكبرى<sup>(١٣)</sup>.

ولم يقتصر هذا الاهتمام على الأمراء والوزراء فقط، بل كان العلماء وعامة الناس يسهمون في هذا العمل الجليل<sup>(١٤)</sup> إذ مهمتهم تعليم الناس الدين، وتوجيههم إلى ما يعود عليهم بالفائدة في الدنيا والآخرة.

وكان إلى جانب هذه المدارس حلقات التدريس في المساجد، ومجالس الجدل والمناظرات في النوادي، ويؤمها عدد كبير من طلاب العلم ورواد المعرفة حتى رجال الدولة.

كما كان لهم الاهتمام الكبير بالكتب والمكتبات التي تضم شتى العلوم والفنون<sup>(١٥)</sup>.

وهكذا كانت جميع المدن الإسلامية حافلة بمدارس ومكتبات علمية عظيمة<sup>(١٦)</sup>.

ثم وجود المشتغلين بعلم الحديث وروايته بكثرة كاثرة، واتخاذ الرحلات العلمية في مدن العالم الإسلامي نشط الحركة العلمية، حيث استعراضنا لرحلات ابن طاهر المقدسي العلمية تبين لنا أنه ارتحل إلى أكثر من (٤٠) بلداً ومدينة، وأخذ عن مشاهير زمانه، فوجود هذه المراكز العلمية وتواجد العلماء فيها لأكبر دليل على هذا النشاط العلمي وهذا الازدهار الذي شاهده العالم الإسلامي في عصر ابن طاهر.

وبالتالي فنحجب هذا العصر علماء وأدباء أفذاذاً، كانوا أئمة في العلوم النقلية والعقلية، وظهرت فيه المعاجم التاريخية والموسوعات الأدبية، ونمت فيه الحركة العقلية، يظهر هذا جلياً بنظرة عابرة إلى بعض أعلام هذا العصر وأثرهم في العلم والثقافة.

### - فمن الأعلام البارزين في العلوم الدينية:

مشايخ ابن طاهر: أمثال الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، والأديب أحمد بن علي الشيرازي أبوبكر، ومسند همذان أحمد بن عيسى بن عباد الدينوري، ومسند الوقت أحمد بن محمد الخليلي البلخي (ت ٤٩٢هـ)، ومسند العراق أحمد بن محمد بن النفور البزاز، وإسماعيل بن مسعدة الإسماعيلي، والإمام المعمر رزق الله بن عبد الوهاب التميمي، والإمام سعد بن علي الزنجاني شيخ الحرم، وطراد بن محمد الزينبي، وعبدالرحمن الدوني، وشيخ الإسلام عبدالله بن محمد أبو إسماعيل الهروي، والإمام عبدالله بن محمد الخطيب الصريفيني، والمحدث عبد الوهاب بن محمد بن إسحاق بن منده، ومسند الديار الشامية علي بن الحسن الخلعي الموصلي، والحميدي الأندلسي صاحب الجمع بين الصحيحين، والفقهاء نصر بن إبراهيم المقدسي، وأبو زكريا يحيى بن عبد الوهاب بن منده (ت ٥١١هـ)، وغيرهم، كما هو مذكور في فهرس شيوخه.

- وكان هناك بعض أعلام اللغة منهم: عبدالقاهر بن

عبدالرحمن بن محمد الجرجاني (ت ٤٧١هـ)، ويحيى بن علي أبو زكريا التبريزي (ت ٥٠٢هـ)، وحسين بن محمد الراغب

الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، وأحمد بن محمد الميداني النيسابوري (ت ٥١٨هـ)، وعبدالله بن محمد بن السيد البطليوسي (ت ٥٢١هـ).

### - الحياة العلمية (الحديثية):

لقد كان لابن طاهر مشاركة قوية في علوم الحديث اختصاراً وجمعاً واستدراكاً وتلخيصاً وابتكاراً... وهذا مع وجود عدد من أئمة الحديث الذين شاركوا في هذا الباب أمثال:

- أبو عبدالله محمد بن أبي نصر الحميدي الأندلسي الظاهري، صاحب كتاب: الجمع بين الصحيحين (ت ٤٨٨هـ).

- والإمام أبو المظفر منصور بن محمد السمعاني صاحب الانتصار لأصحاب الحديث (ت ٤٨٩هـ).

- والحافظ القدوة أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الباقي البغدادي (ت ٤٨٩هـ)، صاحب الأمالي.

- والحافظ أبو زكريا يحيى بن منده (ت ٥١١هـ)، وهو آخر الحفاظ من آل منده، صاحب التصانيف المشهورة.

- والحافظ الكبير أبو علي الحسين بن محمد بن أحمد الغساني (المعروف بالجياني) (ت ٤٩٨هـ)، صاحب كتاب: تقييد المهمل.

وغيرهم من الحفاظ الكبار.

إلا أن الحافظ ابن طاهر المقدسي قد فاق أقرانه بحسن

التصانيف وتنوعها وكثرتها، ويمكن تصنيفها كالتالي:

- أعماله المتعلقة بالصحيحين: كتاب: الجمع بين رجال الصحيحين، وكتاب: أسامي ما اشتمل عليه الصحيحان، وكتاب:

معرفة مشايخ الإمامين اللذين أخرجنا عنهم في الصحيحين، وكتاب: معرفة من لم يخرج في الصحيحين إلا حديث واحد من الصحابة، وكتاب: جواب المتعنت على البخاري، وغير ذلك.

– أعماله المتعلقة بالكتب الستة: كتاب: شروط الأئمة الستة، وكتاب: أطراف الكتب الستة، وكتاب: عوالي الموافقات إلى مشايخ أبي داود السجستاني، وأيضاً إلى مشايخ أبي عيسى الترمذي، وكتاب: مشايخ أبي داود، وغير ذلك.

– أعماله المتعلقة بعلوم الحديث الأخرى: كتاب: الفوائد المنتقاة من الصحاح والغرائب والأفراد وغير ذلك من حديث القاضي الخلعي، وكتاب: مسألة العلو والنزول في الحديث مع مقدمة في فضل أصحاب الحديث، وكتاب: الناسخ والمنسوخ، وكتاب: تصحيح العلل، وغير ذلك.

ولعل هذا العرض الموجز لعصر الحافظ المقدسي من النواحي العديدة فيه كفاية لاستيعاب طبيعة عصره وعهده الذي عاشه وتأثر به وأثر فيه، والفصول الآتية تكشف عن هذا التأثير والتأثير، والإفادة والاستفادة، ومن هنا تظهر أهمية مآثر الحافظ المقدسي، وباللله التوفيق.

## الفصل الثاني

### في حياته وسيرته ومكانته العلمية

اسمه ونسبه وكنيته:

هو أبو الفضل محمد بن طاهر بن علي بن أحمد بن أبي الحسين بن القيسراني، المقدسي، الأثري، الظاهري، الشيباني. ويعرف بابن القيسراني، وبابن طاهر، وبالمقدسي أيضاً. وقال الصفدي: يعرف في وقته بابن القيسراني الشيباني<sup>(١٧)</sup>.

**ولادته:**

ولد بيت المقدس في شهر شوال سنة ثمان وأربعين وأربعمائة. قال ابن طاهر عن نفسه: مولدي سنة ثمان وأربعين، وأربع مائة في شوال<sup>(١٨)</sup>.

**طلبه للحديث وعنايته البالغة به:**

قد تحدث ابن طاهر عن حياته العلمية كما هو موجود في كتب التراجم، وهذه النقول تلقي ضوءاً كاملاً على حياته العلمية، والثقافية، وعلى مدى حرصه، واهتمامه بالرواية، والرحلة، والتأليف، وتقديم الغالي، والرخيص، ومواجهة مشاكل الحياة في سبيل تحصيل العلم، والأخذ عن الشيوخ، والنصوص الآتية تلقي الضوء على هذا بشكل واضح.

### تبكيه في التحصيل العلمي:

بكر المقدسي في طلب العلم، وفي الارتحال في سبيل ذلك إلى المدن الإسلامية، والتردد على شيوخ البلدان شرقاً وغرباً، وقد صرح أن أول سماعه في سنة ستين وأربعمائة، وهذا يعني أن عمره وقت أول سماعه للحديث من شيخ بلده الفقيه نصر المقدسي كان قد بلغ اثني عشر عاماً، وحينما رحل إلى بغداد كان عمره تسعة عشر عاماً، وذهب إلى مجلس أبي إسحاق الشيرازي وهو مختط أي بدأت تظهر على وجهه اللحية.

قال المقدسي: أول سماعي في ستين، ودخلت إلى بغداد في سنة سبع وستين، ثم رجعت، وأحرمت من بيت المقدس بحجة<sup>(١٩)</sup>. وكان لتبكيه في تحصيل العلم، والأخذ عن شيوخ بلده ثم التبكير في الارتحال إلى البلدان الأخرى أثر واضح في نبوغه في العلم، وفي علو أسانيده، وكثرة شيوخه، كما سيأتي تفصيله في مواضعه.

### سيرة المقدسي العلمية في ضوء أقواله:

وقد تحدث الحافظ المقدسي غير مرة عن حياته العلمية وعن أسفاره، وسجل معلومات مفيدة وقيمة في سبيل ذلك، وإليكم بعض هذه الأقوال:

قال أبو مسعود عبدالرحيم الحاجي: سمعت ابن طاهر يقول: بلت الدم في طلب الحديث مرتين مرة ببغداد، وأخرى بنمكة، كنت أمشي حافياً في الحر؛ فلحقني ذلك، وما ركبت دابة



قط في طلب الحديث، وكنت أحمل كتبي على ظهري، وما سألت في حال الطلب أحداً، كنت أعيش على ما يأتي.

وقيل: كان يمشي دائماً في اليوم واللييلة عشرين فرسخاً، وكان قادراً على ذلك<sup>(٢٠)</sup>.

قال ابن طاهر: وكنت ببغداد في سنة سبع وستين وأربع مئة، وتوفي القائم بأمر الله، وبويع للمقتدي بأمر الله، فلما كان عشية اليوم، دخلنا على أبي إسحاق الشيرازي، وسألناه عن البيعة، كيف كانت؟ فحكى لنا ما جرى، ونظر إلي، وأنا يومئذ مختط، فقال: هو أشبه الناس بهذا، وكان مولد المقتدي في عام مولدي، وأنا أصغر منه بأربعة أشهر، وأول ما سمعت من الفقيه نصر في سنة ستين وأربع مئة، ورحلت إلى بغداد سنة سبع، ثم رجعت، وأحرمت من بيت المقدس إلى مكة.

قال ابن طاهر: رحلت من طوس إلى أصبهان لأجل حديث أبي زرعة الرازي الذي أخرجه مسلم عنه، ذاكرني به بعض الرحالة بالليل، فلما أصبحت، سرت إلى أصبهان، ولم أحلل عني حتى دخلت على الشيخ أبي عمرو<sup>(٢١)</sup>؛ فقرأته عليه عن أبيه، عن القطان، عن أبي زرعة، ودفع إلي ثلاثة أرغفة وكمثرتين، فما كان لي قوت تلك الليلة غيره، ثم لزمته إلى أن حصلت ما أريد، ثم خرجت إلى بغداد، فلما عدت كان قد توفي<sup>(٢٢)</sup>.

والحديث أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الرقاق: باب أكثر أهل الجنة الفقراء....

فقال: حدثنا عبيدالله بن عبدالكريم أبو زرعة، حدثنا ابن بكير، حدثني يعقوب بن عبدالرحمن، عن موسى بن عقبة، عن عبدالله بن دينار، عن عبد الله بن عمر، قال: كان من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك، وتحول عافيتك، وفجاءة نقمتك، وجميع سخطك".

وقال ابن طاهر: كنت يوماً أقرأ على أبي إسحاق جزءاً، فجاءني رجل من أهل بلدي، وأسر إلي كلاماً قال فيه: إن أخاك لك قد وصل من الشام، وذلك بعد دخول الترك بيت المقدس، وقتل الناس بها، فأخذت في القراءة، فاختلطت علي السطور، ولم يمكنني أن أقرأ، فقال أبو إسحاق: مالك؟ قلت: خير، قال: لا بد أن تخبرني، فأخبرته، فقال: وكم لك لم تر أخاك؟ قلت: سنين، قال: ولم لا تذهب إليه؟ قلت: حتى أتم الجزء، قال: ما أعظم حرصكم يا أهل الحديث، قد تم المجلس، وصلى الله على محمد، وانصرف (٢٣).

وقال ابن طاهر: وأقمت بتنيس مدة على أبي محمد بن الحداد، ونظرائه، فضاقت بي، فلم يبق معي غير درهم، وكنت أحتاج إلى حبر، وكاغذ، فترددت في صرفه في الحبر، أو الكاغذ، أو الخبز، ومضى علي هذا ثلاثة أيام لم أأطعم فيها، فلما كان بكرة اليوم الرابع، قلت في نفسي: لو كان لي اليوم كاغذ، لم يمكنني أن أكتب من الجوع، فجعلت الدرهم في فمي، وخرجت لأشري خبزا؛ فبلعته، ووقع علي الضحك، فلقيني صديق، وأنا أضحك، فقال: ما

أضحكك؟ قلت: خير، فألح علي، وأبيت أن أخبره، فحلف بالطلاق لتصدقني، فأخبرته، فأدخلني منزله، وتكلف أطعمة.

فلما خرجنا لصلاة الظهر، اجتمع به بعض وكلاء عامل تيس ابن قادوس، فسأله عني، فقال: هو هذا، قال: إن صاحبي منذ شهر أمر بي أن أوصل إليه كل يوم عشرة دراهم، قيمتها ربع دينار، وسهوت عنه، فأخذ منه ثلاث مئة، وجاء بها<sup>(٢٤)</sup>.

وقد حصلت له قصة أخرى ببغداد في رحلته الثانية من الشام إليها حيث إنه كان جائعاً منذ ستة أيام حتى جاء الشيخ أبو علي المقدسي، ووضع دينارا في مكان، وانصرف، فأخذه ووضع في وسط مجلدة، ونسي، وراح إلى السوق ليشتري طعاماً ففتش جيبه ولم يجد، فضاق صدره حتى نام فرأى في المنام أنه في وسط المجلدة فوجده واشترى طعامه<sup>(٢٥)</sup>.

وقال ابن طاهر في المنثور: رحلت من مصر إلى نيسابور، لأجل أبي القاسم الفضل بن المحب صاحب أبي الحسين الخفاف، فلما دخلت عليه قرأت في أول مجلس جزءين من حديث أبي العباس السراج، فلم أجد لذلك حلاوة، واعتقدت أنني نلته بغير تعب، لأنه لم يمتنع علي، ولا طالبني بشيء، وكل حديث من الجزءين يسوى رحلة.

وقال: لما قصدت الإسكندرية كان في القافلة من رشد إليها رجل من أهل الشام، ولم أدر ما قصده في ذلك، فلما كانت الليلة التي كنا في صبيحتها ندخل الإسكندرية رحلنا بالليل، وكان شهر

رمضان، فمشيت قدام القافلة، وأخذت في طريق غير الجادة، فلما أصبح الصباح كنت على غير الطريق بين جبال الرمل، فرأيت شيخاً في مقناة، فسألته عن الطريق، فقال: تصعد هذا الرمل، وتنظر البحر وتقصده فإن الطريق على شاطئ البحر، فصعدت الرمل، ووقعت في قصب الأقلام، وكنت كلما وجد قلماً مليحاً اقتلعتة إلى أن اجتمع من ذلك حزمة عظيمة، وحميت الشمس وأنا صائم، وكان الصيف، فتعبت، فأخذت أنتقي الجيد وأطرح سواه، إلى أن بقي معي ثلاثة أقلام لم أر مثلها، طول كل عقدة شبرين وزيادة، فقلت: إن الإنسان لا يموت من حمل هذه، ووصلت إلى القافلة المغرب، فقام إليّ ذلك الرجل وأكرمني، فلما كان في بعض الليل رحلت القافلة، فقال لي: إن في هذه الليلة مكس، ومعني هذه الفضة، وعليها العشر، فإن قدرت وحملتها معك، لعلها تسلم، فعلت في حقي جميلاً.

فقلت: أفعل.

قال: فحملتها ووصلت الإسكندرية وسلمت، ودفعتها إليه فقال: تحب أن تكون عندي، فإن المساكنة تتعذر.

فقلت: أفعل.

فلما كان المغرب صليت، ودخلت عليه، فوجدته قد أخذ الثلاثة الأقلام، وشق كل واحد منها نصفين، وشدّها شدة واحدة، وجعلها شبه المسرحجة، وأقعد السراج عليها، فلحقني من ذلك من الغم شيء لم يمكنني أن آكل الطعام معه، واعتذرت إليه، وخرجت إلى المسجد، فلما صليت التراويح أقمت في المسجد فجاءني القيم

وقال: لم تجر العادة لأحد أن يبيت في المسجد، فخرجت وأغلق الباب، وجلست على باب المسجد، لا أدري إلى أين أذهب.  
فقلت: غريب من أهل العلم، وحكيت له القصة.

فقال: قم معي، فقامت معه، فأجلسني في مركزه، وثم سراج جيد، وأخذ يطوف ويرجع إلى عندي، واغتيمت أنا السراج، فأخرجت الأجزاء، وقعدت أكتب إلى وقت السحر، فأخرج إلي شيئاً من المأكول، فقلت: لم تجر لي عادة السحور.

وأقمت بعد هذا بالإسكندرية ثلاثة أيام، أصوم النهار، وأبيت عنده، وأعتذر إليه وقت السحر، ولا يعلم إلى أن سهل الله بعد ذلك وفتح.

وقال: أقمت بتتيس مدة على أبي محمد بن الحداد ونظرائه، فضاق بي، ولم يبق معي غير درهم، وكنت في ذلك أحتاج إلى خبز، وأحتاج إلى كاغذ، فكنت أتردد إن صرفته في الخبز لم يكن لي كاغذ، وإن صرفته في الكاغذ لم يكن لي خبز، ومضى على هذا ثلاثة أيام ولياليهن لم أطعم فيها، فلما كان بكرة اليوم الرابع قلت في نفسي: لو كان لي اليوم كاغذ لم يمكن أن أكتب فيه شيئاً لما بي من الجوع، فجعلت الدرهم في فمي، وخرجت لأشتري الخبز، فبلعته، ووقع علي الضحك، فلقيني أبو طاهر بن حطامة الصائغ المواقيتي بها وأنا أضحك، فقال لي: ما أضحكك؟

فقلت: خير.

فألح علي وأييت، فحلف بالطلاق لتصدّقني لم تضحك؟ فأخبرته، وأخذ بيدي، وأدخلني منزله، وتكلف لي ذلك اليوم أطعمة، فلما كان وقت صلاة الظهر خرجت أنا وهو إلى الصلاة، فاجتمع به بعض وكلاء عامل تنيس، فسأله عني، فقال: هو هذا، فقال: إن صاحبي منذ شهر أمرني أن أوصل إليه في كل يوم عشرة دراهم، قيمتها ربع دينار، وسهوت عنه.

قال: فأخذ منه ثلاث مائة درهم، وجاءني وقال: قد سهل الله رزقاً لم يكن في الحساب، وأخبرني بالقصة، فقلت: تكون عندك، ونكون على ما نحن من الاجتماع إلى وقت الخروج، فإنني وحدي، ففعل، وكان بعد ذلك يصلني ذلك القدر، إلى أن خرجت من البلد إلى الشام<sup>(٢٦)</sup>.

### رحلاته العلمية:

وفيما مضى من أقواله عن حياته العلمية ورحلاته إلى الآفاق في طلب العلم يتبين لنا أنه ارتحل في سبيل العلم والرواية إلى مدن العالم الإسلامي شرقاً وغرباً، فسمع من محدثي البلاد الإسلامية، فرحل إلى مصر، ومكة، والمدينة، والقدس، والشام، والجزيرة، والعراق، وأصفهان، والجبالي، وفارس، وخراسان، وبغداد، وجرجان، ونيسابور، وهرات، والإسكندرية، وتنيس، والبصرة، والكوفة، والموصل، والدينور، والري، وسرخس، وشيراز، ومرو الروذ، وساوة، والرحبة، والأنبار، والأهواز، ونوقان، وهمدان، وواسط، وأسد اباد، والإسفرائن، وآمل، وبسطام، وخسرو جرد، وطوس.

وهذه المدن التي ارتحل إليها المقدسي ذكرها الذهبي،  
وذكر شيوخ المقدسي من هذه المدن في مؤلفاته: السير، والتذكرة،  
وتاريخ الإسلام.

وقال في تاريخ الإسلام: فهذه أربعون مدينة قد سمع فيها  
الحديث، وسمع في بلدان آخر تركتها<sup>(٢٧)</sup>.

وقال ابو الفضل بن ناصر: صنّف كتباً في علوم الحديث،  
وكانت له معرفة بذلك، وكان مقيماً بهمدان<sup>(٢٨)</sup>.

قال ابن السمعاني: وما أظن أحداً رحل في عصره مثل  
رحلته، وكتب بخطه كثيراً من الكتب، والمصنفات الكبار،  
والمسانيد، والأجزاء المنثورة<sup>(٢٩)</sup>.

وقال ابن نقطة: أبو الفضل المقدسي الحافظ طاف البلاد،  
وسمع الكثير، وصنّف كتباً حسنة في معرفة علوم الحديث، وكان  
ثقة في الحديث فاضلاً ثم ذكر بعض شيوخه على البلدان، وقال: في  
خلق كثير، وجم غفير غير هؤلاء في هذه البلاد، وغيرها<sup>(٣٠)</sup>.

وقال المقرئ: صاحب التصانيف المشهورة، أحد الرحالين  
في طلب الحديث، حافظ له، سمع بمصر، والثغور الشامية، وبلاد  
الشام، والحجاز، والجزيرة، والعراق، والجبال، وفارس،  
وخراسان<sup>(٣٠)</sup>.

وقد كانت تتكرر هذه الرحلات العلمية، وكان أحياناً  
يذكر عن نفسه أنه كان في الرحلة الفلانية في المكان الفلاني،  
فقد نقل عنه ابن نقطة في ترجمة محمد بن موسى بن عبدالله الصفار

أبو الخير بن أبي عمران المروزي عن أبي الهيثم محمد بن المكي الكشميهني بكتاب صحيح البخاري قال: قال محمد بن طاهر المقدسي: واشتهر من روايته بآخره - يعني من رواية الكشميهني - فرواه عنه جماعة آخرهم وفاة أبو الخير محمد بن عمران الصفار بمرو، فظهر سماعه على الأصل، فقرأ عليه مرة تمامه، ومرة استحضره صاحب الأجل نظام الملك أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق، فسقط عن دابته، وحمل إلى بيته، ومات في ذلك في شهر رمضان من سنة إحدى وسبعين وأربعمائة، وكنت إذ ذاك ببغداد في رحلتي الثانية إليها<sup>(٣٢)</sup>.

وقد قال الصفدي: له الرحلة الواسعة<sup>(٣٣)</sup>.

وقد لا حظنا أنه يذكر عند سوق الروايات عن شيوخه المدن

التي أخذها عنهم بها.

مكانته العلمية وثناء الناس عليه:

١ - قال أبو القاسم ابن عساكر: سمعت إسماعيل بن محمد<sup>(٣٤)</sup>

الحافظ يقول: أحفظ من رأيت محمد بن طاهر<sup>(٣٥)</sup>.

٢ - وقال أبو زكريا يحيى بن منده: كان ابن طاهر أحد الحفاظ،

حسن الاعتقاد، جميل الطريقة، صدوقاً، عالماً بالصحيح والسقيم،

كثير التصانيف، لازماً للأثر<sup>(٣٦)</sup>.

٣ - وقال شيرويه بن شهردار في "تاريخ همذان": ابن طاهر

سكن همذان، وبنى بها دار، دخل الشام، والحجاز، ومصر،

والعراق، وخراسان، وكتب عن عامة مشايخ الوقت، وروى عنهم،



وكان ثقة، صدوقاً، حافظاً، عالماً بالصحيح، والسقيم، حسن المعرفة بالرجال، والمتون، كثير التصانيف، جيد الخط، لازماً للأثر، بعيداً من الفضول والتعصب، خفيف الروح، قوي السير في السفر، كثير الحج والعمرة، مات ببغداد منصرفاً من الحج<sup>(٣٧)</sup>.

٤ - وقال أبو سعد السمعاني: سألت الفقيه أبا الحسن الكرخي، عن ابن طاهر؟ فقال: ما كان على وجه الأرض له نظير، وكان داودي المذهب، قال لي: اخترت مذهب داود، قلت: ولما؟ قال: كذا اتفق، فسألته: من أفضل من رأيت؟ فقال: سعد بن علي الزنجاني، وعبد الله بن محمد الأنصاري<sup>(٣٨)</sup>.

٥ - وقال أبو سعد السمعاني: سمعت من أثق به يقول: قال عبدالله ابن محمد الأنصاري الهروي: ينبغي لصاحب الحديث أن يكون سريع القراءة، سريع النسخ، سريع المشي، وقد جمعت هذه الخصال في هذا الشاب، وأشار إلى محمد بن طاهر المقدسي، وكان قاعداً بين يديه<sup>(٣٩)</sup>.

٦ - قال ابن النجار: قرأت في كتاب عبد الله بن أبي بكر بن الخاضبة أنه توفي في ضحى يوم الخميس العشرين من الشهر، وله حجرات كثيرة على قدميه، وكان له معرفة بعلم التصوف، وأنواعه، متفنناً فيه، ظريفاً، مطبوعاً، له تصانيف حسنة مفيدة في علم الحديث، رحمه الله<sup>(٤٠)</sup>.

٧ - وقال ابن النجار: كان حافظاً متقناً سريع القلم، حسن التصنيف، ذكي النفس، حاد الخاطر، جيد القريحة<sup>(٤١)</sup>.

٨- وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: ومحمد بن طاهر له فضيلة جيدة من معرفة الحديث، ورجاله، وهو من حفاظ وقته، لكن كثير من المتأخرين: أهل الحديث، وأهل الزهد، وأهل الفقه، وغيرهم إذا صنفوا في باب، ذكروا ما روي فيه من غث، وسمين، ولم يميزوا ذلك، كما يوجد ممن يصنف في الأبواب<sup>(٤٢)</sup>.

٩- وقال الحافظ ابن كثير: صنّف كتباً مفيدة<sup>(٤٣)</sup>.

١٠- وذكره الذهبي في كتابه: ذكر من يعتمد قوله في الجرح والتعديل (رقم ١٣٣)، وفي المعين في طبقات المحدثين، وفي وفيات الأعيان.

ووصفه في السير بالإمام الحافظ الجوال الرحال، ذو التصانيف، الأثري الظاهري الصوفي.

كما قال في الدفاع عنه: والله هو مسلم أثري معظم لحرمت الدين، وإن أخطأ وشذ.

ووصفه الذهبي في التذكرة بالحافظ العالم المكثّر الجواد.

وقال في العبر: الحافظ، ذو الرحلة الواسعة والتصانيف،

والتعليق.

وقال: وكان من أسرع الناس كتابة وأذكاهم، وأعرفهم

بالحديث، والله يرحمه ويسامحه<sup>(٤٤)</sup>.

١١- وذكره السخاوي في "المتكلمون في الرجال" في الطبقة

الخامسة عشرة<sup>(٤٥)</sup>.

هذه أقوال أهل العلم في الثناء عليه، وعلى علمه، وفضله، وقد كان يدرك المقدسي في نفسه هذا فقال مرة تحدثا بنعمة الله عزوجل ما ذكره السمعاني قال: سمعت أبا جعفر الساوي يقول: كنت بالمدينة مع ابن طاهر فقال: لا أعرف أحدا أعلم بنسب هذا السيد صلى الله عليه وسلم مني، وآثاره، وأحواله<sup>(٤٦)</sup>.

ويصدق قول الإمام أبي القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل الحافظ الأصبهاني: أن المقدسي هو أحفظ من رآه، وقد روي عن أبي القاسم أنه قال عن نفسه: ما رأيت في عمري من يحفظ حفظي، وهو شيخ الحفاظ، وإمام في التفسير، والحديث، واللغة.

عقيدته وشهرته بأنه ملازم للأثر:

شهد غير واحد من أهل العلم أن ابن طاهر كان حسن الاعتقاد، جميل الطريقة، ولازما للأثر كما قال يحيى بن عبد الوهاب ابن منده<sup>(٤٧)</sup>.

وقال شيرويه بن شهردار الديلمي: كان لازماً للأثر، بعيداً من الفضول والتعصب<sup>(٤٨)</sup>.

وقد صرح بذلك الحافظ الذهبي حيث وصفه بالأثري، وقال - ردّاً على الدقاق الذي حط على ابن طاهر - : إنه كان صوفياً ملامتياً...، وقال: وذكر لي عنه الإباحة.

قال الذهبي: ما تعني بالإباحة، إن أردت بها الإباحة المطلقة فحاشا ابن طاهر، هو - والله - مسلم أثري، معظم لحرمان الدين،

وإن أخطأ، أو شذ، وإن عنيت إباحة خاصة كإباحة السماع، وإباحة النظر إلى المرد، فهذه معصية، وقول للظاهرية لإباحتها مرجوح<sup>(٤٩)</sup>.  
 نعم، يعتبر انحراطه في سلك التصوف انحرافاً عن السنّة، ولا يقر عليه، ومن هنا قال الذهبي في "ميزان الاعتدال": له انحراف عن السنّة إلى تصوّف غير مرضي، وهو في نفسه صدوق لم يتهم، وله حفظ ورحلة واسعة<sup>(٥٠)</sup>.

وقد وجدت في كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب الاستقامة ما يستأنس به في عقيدة هذا الإمام في الأسماء، والصفات، إذ الأصل عند المحدثين، والقدامي خاصة منهم الاستقامة في هذا الباب.

قال شيخ الإسلام: وكلام المشايخ في مسألة العلو كثير مثل ما ذكر محمد بن طاهر المقدسي الحافظ الصوفي المشهور الذي صنّف للصوفية "كتاب صفة التصوف"، و "مسألة السماع"، وغير ذلك، ذكر عن الشيخ الجليل أبي جعفر الهمداني: أنه حضر مجلس أبي المعالي الجويني، وهو يقول: كان الله ولا عرش، وهو على ما عليه كان، أو كلاماً من هذا المعنى، فقال: يا شيخ، دعنا من ذكر العرش، أخبرنا عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا، فإنه ما قال عارف قط: يا الله، إلا وجد من قلبه ضرورة بطلب العلو، ولا يلتفت يمنة، ولا يسرة، فكيف ندفع هذه الضرورة عن قلوبنا؟ قال: فصرخ أبو المعالي، ولطم على رأسه وقال: حيرني الهمداني، حيرني الهمداني<sup>(٥١)</sup>.

قلت: وجه للسنة، وأهلها وتمسّكه بالأثر واضح من كتاباته، وخدماته لعلوم الحديث، ويبدو من بعض كلامه أنه كان على مذهب أهله وبلده قبل التمييز، والتحصيل ثم لما قوي في علم الحديث ترك التقليد كما هو واضح من مقدمة مسألة التسمية، وكان معظماً لشأن المحدثين، وخاصة البخاري ومسلم، وهو يقول في مقدمة مسألة التسمية: لعل قائلًا يقول: إني في تصحيح هذا الحديث من هذا الطريق مقلد للبخاري، ومسلم لأنهما أخرجاه، وليس كذلك، على أنهما بمنزلة من نقلد، ولكنني صححته من الوجه الذي صحّاه<sup>(٥٢)</sup>.

- وقد ذكر في مقدمة العلو والنزول مقدمة جيدة في فضل أصحاب الحديث، فقال:

اعلم أن الحديث وطلبه مندوب إليه، مثاب صاحبه عليه، ويرغب فيه أشرف الناس، ويزهد فيه الأغنياء الأذناس، أهله منصورون، وأعداؤه مقهورون، ذكرهم الله عزوجل في كتابه، ودعا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطابه.

- ثم ذكر بعض الأحاديث والآثار، وقال: ولست أقصد أن أستقصي ما ذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعن الصحابة رضي الله عنهم، وعن أئمة المسلمين قرناً بعد قرنٍ ما في مدح هذه الفرقة على أن لا تقام سنة، ولا تذلل بدعة، ولا يؤمر بمعروف، ولا ينهى عن منكر إلا هو دليلٌ على فضلهم، لأنهم الذين رووه، ونقلوه، ودوتوه حتى بلغ إلى من عمل به، وقد صنف غير واحدٍ من أئمتنا في هذا المعنى كتباً تشتمل على مناقبهم<sup>(٥٣)</sup>.

## مذهبه في الفروع:

كان ابن طاهر في بداية نشأته على مذهب أهله وبلده في بيت المقدس - أي: على المذهب الشافعي -، وقد صرح بهذا بنفسه في مقدمة كتابه: "مسألة التسمية"، فقال:

إن سائلاً سألني عن السبب الموجب لترك الجهر بقراءة بسم الله الرحمن الرحيم في أول الفاتحة وغيرها من سور القرآن في الصلوات بعد أن كنت أجهر بها، فكان الجواب: أنني لما نشأت كنت على مذهب أخذته تقليداً إذ الصبي يكون مذهبه قبل التمييز مذهب أبويه وأهل بلده فكنت على ذلك حيناً أعتقد صحته جهلاً مني بطرق الأحاديث التي هي المرقاة المتوصل بها إلى معرفة ذلك، فلما رزقني الله تعالى من العلوم أجلها وأنفعها عاجلاً وآجلاً دعاني ذلك إلى تناول الصحيح مما ينقل عن صاحب الشريعة، ويترك ما سواه، وذلك أنني تتبعت هذه المسألة وأحاديثها للفريقين فلم أجد في الجهر في الصلاة حديثاً صحيحاً يعتمد عليه أهل النقل، ولا أخرج منها في الكتابين الصحيحين اللذين أجمع المسلمون على صحة ما أخرج فيهما حرف واحد يدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم جهر بها في الصلاة، ووجدت الأحاديث الصحاح في ترك الجهر بها مخرجة في الكتابين وغيرهما من السنن المصنفة في الشريعة، ثم أجماع الفقهاء على هذا الفعل، وإنما جهر بها من الأئمة المقتدى بهم الإمام أبي عبدالله محمد بن إدريس الشافعي - رضي الله عنه -

وقوم ممن لا يعدّ الفقهاء خلافهم خلافاً فكان ذلك هو السبب الذي دعاني إلى هذا الفعل<sup>(٥٤)</sup>.

وقد وصفه العلماء بأنه شافعي مثل ابن عبد الهادي في جمع الجيوش، وابن عساكر وتلميذه ذاكر الخفاف، ومحمد بن إبراهيم بن أحمد بن عبد الرحمن المقدسي ناسخ كتاب: "مسألة التسمية" لابن طاهر.

ثم بعد هذا انتقل إلى مذهب أهل الظاهر في الفروع، كما حكاه عن نفسه، قال أبو سعد السمعاني: سألت الفقيه أبا الحسن الكرخي عن ابن طاهر، فقال: ما كان على وجه الأرض له نظير، وكان داودي المذهب، قال لي: اخترت مذهب داود، قلت: ولم؟، قال: كذا اتفق<sup>(٥٥)</sup>.

وقال السمعاني: كان داودي المذهب، وسئل عن مذهبه، فقال: اخترت مذهب داود<sup>(٥٦)</sup>.

ووصفه الذهبي بالظاهري، ورأيه في إباحة السماع وإباحة النظر إلى المرد لأجل ظاهرته، وقوله مرجوح، ولعل شهرته بكونه ظاهرياً وداودياً لمسألة السماع، أو لنصرة الدليل، وترك التقليد، وأقوال العلماء في الثناء على تمسّكه بالسنة وخدمته للحديث، ثم أقواله أيضاً في نصرة السنة وردّ التقليد تؤيد أنه كان ينصر الدليل الصحيح، ويذهب إليه كما في مسألة التسمية، والله أعلم.

## لحنه في العربية وأخطاؤه العلمية:

قال أبو سعد السمعاني: سألت إسماعيل بن محمد الحافظ عن ابن طاهر، فتوقف، ثم أساء الثناء عليه.

وسمعت أبا القاسم بن عساكر يقول: جمع ابن طاهر أطراف الصحيحين، وأبي داود، وأبي عيسى، والنسائي، وابن ماجه، فأخطأ في مواضع خطأ فاحشاً<sup>(٥٧)</sup>.

وقال ابن عساكر: مصنفاته كثيرة، لكنه كثير الوهم وله شعر حسن، وكان لا يحسن النحو<sup>(٥٨)</sup>.

وقال ابن ناصر: كان لحنه، ويصحف، قرأ مرة: وإن جبينه ليتفصد عرقاً بالقاف، فقلت بالفاء، فكابرنى<sup>(٥٩)</sup>.

وقال السلفي: كان فاضلاً يعرف، لكنه لحنه، قال لي المؤتمن الساجي: كان يقرأ، ويلحن عند شيخ الإسلام بهراة؛ فكان الشيخ يحرك رأسه، ويقول: لا حول ولا قوة إلا بالله<sup>(٦٠)</sup>.

خلاصة هذه الأقوال أنه كان يلحن، وأنه توجد في مؤلفاته أخطاء، وأوهام، أما كونه كان يلحن فهذا ما تفرّد به بل وصفه به كثير من أهل العلم، ولا شك أن استقامة الرجل في اللغة العربية شيء جيد ومطلوب لكنه ليس بقادح في العدالة ولا في أصل العلم أيضاً.

وأما ما يتعلق بوجود أخطاء في مؤلفاته فهذا لا شك فيه، لكن لم يتفرّد هو من العلماء في أنه يخطئ أو يغلط، وسبحان من لا يسهو ولا يغلط، وعند وجود هذه الأخطاء والأوهام فهي محدودة ومحصورة لكن يكفي لهذا الإمام شرفاً أنه صنّف في علوم عديدة،



وفي الجملة كانت خدماته مفيدة، ومثمرة حيث استفاد منها المتأخرون، وبنوا عليها كتبهم، ومؤلفاتهم.

ولأجل هذا قال الذهبي عنه: كتب ما لا يوصف كثرة بخطه السريع، القوي الرفيع، وصنف، وجمع، وبرع في هذا الشأن، وعني به أتم عناية، وغيره أكثر إتقاناً، وتحرياً منه<sup>(٦١)</sup>.

### مسألة السماع، والتصوف، والنظر إلى المرد:

ألف ابن طاهر عدة كتب فيما يتعلق بهذه المسائل ثم وصف بأنه كان داودياً ظاهرياً، وأنه كان متضوفاً ملامتياً، ومن المعلوم أن العلماء من قديم الزمان قد حصلت منهم أخطاء وهنات في أبواب العقيدة والسلوك والعلم، إلا أن الذي كان في - الجملة - على طريقة أهل الحديث في العلم والعقيدة والسلوك اعتذر له العلماء والتمسوا له أعذاراً، مع التنبيه على أن هذه أخطاء يجب أن لا يقلد فيها مثل هؤلاء العلماء، وعندنا أمثلة لهذا فالمبتدعة، وموقف نقاد الحديث منهم، ومن روايتهم مسألة، معروفة لدى طلبة العلم، وقد كان أهل العراق يشربون النبيذ، كما كان بعضهم يفضل علياً على عثمان - رضي الله عنهما - فالعلماء بينوا الحق في هذه المسائل، وهكذا في هذه المسألة فإن ابن طاهر لوحظ عليه أنه ألف في مسألة السماع كما ألف في تراجم المتصوفة ثم ألف جزءاً في النظر إلى المرد، فوجود هذه المؤلفات، وشهرة مؤلفها بأنه ظاهري المذهب، وصوفي المشرب، وأنه أثري، ولا يتعصب، وأنه جرى في نقد من يستحق النقد عنده ثم رده على الأشعري فإن هذه الأمور قد تسببت

في توجيه النقد إلى شخصيته، وفيما يلي نذكر ما قيل فيه طعناً ودفاعاً عنه:

١- قال ابن ناصر: محمد بن طاهر لا يحتج به، صنّف في جواز النظر إلى المرد، وكان يذهب مذهب الإباحة<sup>(٦٢)</sup>.

٢- وقال ابن الجوزي في المنتظم: صنّف كتاباً سمّاه: "صفوة التصوف" يضحك منه من يراه، ويعجب من استشهاده على مذاهب الصوفية بالأحاديث التي لا تناسب ما يحتج له من نصرّة الصوفية، وكان داودي المذهب، فمن أثني عليه فلحفظه الحديث ومعرفته به، وإلا فالجرح أولى به، ذكره أبو سعد ابن السمعاني وانتصر له بغير حجة....

وقال: ذكره الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد الدقاق، فأساء الثناء عليه جداً، ونسبه إلى أشياء، وكذلك أساء الثناء عليه الحافظ إسماعيل بن أحمد الطلحي، وكان سيئ الرأي فيه. وعنه نقل سبطه شمس أبو المظفر يوسف بن قزاوغلي<sup>(٦٣)</sup> (ت ٦٥٤هـ) في مرآة الزمان، والصفدي في الوافي بالوفيات<sup>(٦٤)</sup>.

٣- وقال الذهبي في السير والتذكرة: ذكره الدقاق في رسالته فحط عليه فقال: كان صوفياً ملامتياً سكن الرّي ثم همذان، وله كتاب "صفوة التصوف" وله أدنى معرفة بالحديث في باب شيوخ البخاري ومسلم وغيرهما.

قال الذهبي متعباً عليه في السير: قلت: يا ذا الرجل، أقصر فابن طاهر أحفظ منك بكثير.

وقال في التذكرة أيضاً: هو أحفظ منك بكثير يا هذا !.

ثم قال في السير والتذكرة: وذكر لي عنه الإباحة.

قال الذهبي في السير: قلت: ما تعني بالإباحة؟ إن أردت بها الإباحة المطلقة، فحاشا ابن طاهر، هو - والله - مسلم أثري، معظم لحرمت الدين، وإن أخطأ، أو شذ، وإن عنيت إباحة خاصة كإباحة السماع، وإباحة النظر إلى المرد؛ فهذه معصية، وقول للظاهرية بإباحتها مرجوح.

وقال في التذكرة: بل الرجل مسلم معظم للآثار، وإنما كان يرى إباحة السماع، لا الإباحة المطلقة التي هي ضرب من الزندقة، والانحلال<sup>(٦٥)</sup>.

وقال في "تاريخ الإسلام" ردّاً على قول ابن ناصر "كان يذهب مذهب الإباحة": يعني في النظر إلى الملاح، وإلا فلو كان يذهب إلى إباحة مطلقة لكان كافراً، والرجل مسلم متبع للأثر، سني<sup>(٦٦)</sup>، وإن كان قد خالف في أمور مثل جواز السماع، وقد صنّف فيه مصنفاً، ليته لا صنّفه<sup>(٦٧)</sup>.

وقال الذهبي أيضاً في الميزان: محمد بن طاهر المقدسي الحافظ، ليس بالقوي؛ فإنه له أوهام كثيرة في تواليفه... ثم نقل كلام ابن عساكر الذي تقدم ذكره في أطراف الكتب الستة.

وقال: قلت: وله انحراف عن السنة إلى تصوف غير مرضي، وهو في نفسه صدوق لم يتهم، وله حفظ، ورحلة واسعة<sup>(٦٨)</sup>.

٤- وقد درس هذه الأحاديث الواردة في ذم الغناء والمعازف المحقق عبدالله بن يوسف الجديع في رسالة مستقلة، وقال فيها: الإمامان ابن حزم، وابن طاهر حاملا راية الطعن في الأحاديث المروية "ذم الغناء، والمعازف" فكل منهما له مصنف في ذلك، وتناوله ابن حزم في "المحلي" أيضا، فذهبا إلى القول بإطلاق عدم ثبوت شيء في الباب.

إلى أن قال: وأما ابن طاهر فجملة ما أورده ثلاثة وعشرون حديثاً أو أكثر قليلا، وعللها جميعا.

ثم قال: فجوزيا على ذلك بالتشنيع والسباب والنيز بالألقاب، والطعن اللاذع في العدالة والدين، بألفاظ مشينة تنزهه عن ذكرها ألفاظ الأتقياء، وتنبو عن سماعها آذان أهل الورع.

وقال أيضا: ولقد اتضح لي من خلال هذه الدراسة رجحان ما ذهب إليه ابن حزم، وابن طاهر في شأن أغلب أحاديث الباب، سوى ثلاث أحاديث... (٦٩).

وقد رمي بأشد مما ذكر مما تابأ النفس أن تنقل، فمن أراد المزيد فعليه أن يرجع إلى ما كتبه العلامة الشيخ عبدالرحمن المعلمي في التنكيل في مواضع، وما علينا إلا أن نقول: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

### حفظه وذكائه:

شهد لحفظه وذكائه غير واحد كما تقدم بل وصف بأحفظ أهل عصره، قال الحافظ أبو القاسم ابن عساكر عن أبي القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل الحافظ أنه قال: أحفظ من رأيت محمد بن طاهر المقدسي<sup>(٧٠)</sup>.

وقال ابن النجار: كان حافظاً متقناً سريع القلم، حسن التصنيف، ذكي النفس، حاد الخاطر، جيد القريحة<sup>(٧١)</sup>.

### قوي السير في السفر وكثير الحج والعمرة:

كان قوي السير في السفر، وكثير الحج، والعمرة، وقد أشاد بهذا المترجمون له، قال السمعاني: سمعت بعض المشايخ يقول: كان محمد بن طاهر يمشي في ليلة واحدة قريباً من سبعة عشر فرسخاً، وكان يمشي على الدوام بالليل والنهار عشرين فرسخاً<sup>(٧٢)</sup>. وسمعت بعضهم يقول: كان ابن طاهر يمشي في ليلة واحدة قريباً من سبعة عشر فرسخاً.

وقال شيرويه بن شهردار: كان قوي السير في السفر، كثير الحج، والعمرة، مات ببغداد منصرفاً من الحج<sup>(٧٣)</sup>.

وقال عبدالله بن محمد الأنصاري الهروي: ينبغي لصاحب الحديث أن يكون سريع النسخ، سريع المشي، وقد رزق الله تعالى هذه الخصال هذا الشاب، وأشار إلى المقدسي، وكان قاعداً بين يديه<sup>(٧٤)</sup>.

وكان دائم الحج والعمرة بل جاور الحرم كما قال الصفدي  
(١٦٦/٣).

وكان مقيماً بهمذان، ويرحل إلى الحج في كل عام، وذكر  
أنه سافر إلى الحجاز ثلاثين سنة<sup>(٧٥)</sup>.

**نسخه لكتب الحديث لنفسه وبالأجرة:**

اشتهر المقدسي بسرعة الكتابة والنسخ والقراءة كما اشتهر  
بحودة الخط وبكثرة كتابة الأحاديث النبوية كما كان قد صرح بأنه  
تعود على كتابة ما كان يسمع من شيوخه.

وقال عبدالله بن محمد الأنصاري الهروي: ينبغي لصاحب  
الحديث أن يكون سريع القراءة، سريع النسخ، سريع المشي، وقد  
رزق الله تعالى هذه الخصال هذا الصعب، وأشار إلى محمد بن  
طاهر المقدسي، وكان قاعداً بين يديه.

قال السلفي: سمعت ابن طاهر يقول: كتبت الصحيحين،  
وسنن أبي داود سبع مرات بالوراقة، وسنن ابن ماجه عشر مرات  
بالوراقة سوى التفاريق بالري<sup>(٧٦)</sup>، وذكره الذهبي، وقال: "بالأجرة"  
بدل "بالوراقة"<sup>(٧٧)</sup>.

**كسبه ومعيشته:**

لم نعلم أن المقدسي اشتغل بوظيفة حكومية أو بتجارة، أو  
أنه كان من الأثرياء بل النصوص الموجودة في ترجمته تدل على أنه  
عاش حياةً عادية، وكان يمشي حافياً في الليل والنهار، وأنه كان قد  
ذكر عن نفسه في أثناء هذه الرحلات، فقال: بليت الدم في طلب

الحديث مرتين، مرة ببغداد، ومرة بمكة، وذلك أنني كنت أمشي حافياً في حر الهواجر بهما، وما سألت في حال الطلب أحداً، وكنت أعيش على ما يأتي من غير مسألة، والله ينفعنا به ويجعله خالصاً لوجهه<sup>(٧٨)</sup>.

وقد حكى عن نفسه أنه قد جاع مرات وكرات، وما كان يملك شيئاً، إذن هو كان يقبل من إخوانه ما كان يأتيه من غير مسألة، ولا استشراف نفس كما تقدم أنه قبل من وكيل عامل تنيس ابن قادوس<sup>(٧٩)</sup>، ثم كان يكتب نسخ الكتب الحديثية لسد احتياجاته كما مر ذكر هذه الوقائع وكان أيضاً يحمل أمتعة غيره في السفر على الأجرة، كما عمل هذا في رحلته إلى الإسكندرية في رمضان، وفي أيام الحرارة<sup>(٨٠)</sup>.

وخلاصة ما يؤخذ من حياته في هذا الباب أنه كان يتوكل على الله حق التوكل، وصرف همه إلى التحصيل العلمي والإفادة سفراً وحضراً، وكان يقضي أيامه ببعض هذه الأعمال كالوراقة، أو حمل أمتعة الناس، وقد بارك الله في حياته فقضاها في سبيل خدمة العلم والدين.

#### وفاته:

مات في بغداد في شهر ربيع الأول عام ٥٠٧هـ، واختلفوا في

يوم وفاته.

قال ابن النجار: أنبأنا ذاكر عن شجاع الذهلي قال: مات ابن طاهر عند قدومه من الحج في يوم الجمعة لليلتين بقيتا من شهر ربيع الأول سنة سبع وخمسة مئة (٨١).

وقال: وقرأت في كتاب عبد بن بكر بن الخاضبة أنه توفي في ضحى يوم الخميس، العشرين من شهر ربيع الأول سنة سبع وخمسمائة (٨٢).

وقال أبو الفضل بن شافع: توفي ببغداد وقد عاد من الحج في ليلة الجمعة ثامن شهر ربيع الأول من سنة سبع وخمسمائة وصلي عليه من الغد يوم الجمعة، ودفن في مقبرة العقبة بالجانب الغربي عند رباط البسطامي (٨٣).

وقال أبو المعمر: في نصف ربيع الأول سنة سبع وخمسمائة (٨٤).  
وقيل: مات سنة ثمان وخمسمائة، وقول ابن الخاضبة أصح (٨٥).

## هوامش

- ١- نفس المصدر، ٤١٠-٤٥٠.
- ٢- انظر: الدولة العباسية لمحمد الخضري، ٤٣٠.
- ٣- البداية والنهاية لابن كثير، ١٥٥/١٢.
- ٤- ظهر الإسلام، لأحمد أمين، ٣/١.
- ٥- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، لابن الجوزي، ٤٩، ٤٧/٩،  
و ١٠٠/١٩٨، ٢٨٥.



- ٦- المصدر نفسه، ١٦٣/٨، و ٢٨٦/١٠.
- ٧- الكامل، ١٠٤/١٠ و ١٠٩ و ١٢٤ و ١٧٦.
- ٨- الكامل لابن الأثير، ٣٢٥/١٠.
- ٩- المصدر نفسه، ١٥٠/٩ و ٩٥/١٠.
- ١٠- المنتظم، ١٥٠/٩ و ٩٥/١٠.
- ١١- تاريخ الإسلام وفيات ٥٠٧هـ، ص ١٧٩.
- ١٢- المنتظم، ١٩٣/٩ و ١٠٤/١٠، ١٧٦، ١٨٩، ٢١٢، وظهر الإسلام، ١/٣-١٣٠،  
والتاريخ الإسلامي، ٦٢٥-٦٣٢.
- ١٣- انظر: الكامل لابن الأثير، ١٦٢/٨، ١٦٣، وتاريخ دولة آل سلجوق،  
ص ٣٢، ٥٤، والأعلام، ٢/٢٠٢.
- ١٤- انظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، ٢٥٦/٤، ٢٩٢.
- ١٥- انظر: التاريخ الإسلامي، ٤٣٠-٤٣٣/٤.
- ١٦- انظر: التاريخ الإسلامي، ٤٣٠/٤.
- ١٧- الوافي بالوفيات، ١٦٦/٣.
- ١٨- تذكرة الحفاظ، ١٢٤٤/٤.
- ١٩- التذكرة، ١٢٤٤/٤.
- ٢٠- السير، ٣٦٣/١٩، والتذكرة، ١٢٤٣/٤.
- ٢١- هو عبد الوهاب بن محمد بن إسحاق بن مندة (ت ٤٧٥هـ).
- ٢٢- السير، ٣٦٦/١٩، والمقفى الكبير، ٧٣٩/٥.
- ٢٣- السير، ٣٦٧/١٩.
- ٢٤- السير، ٣٦٧/١٩.
- ٢٥- تاريخ الإسلام.
- ٢٦- تاريخ الإسلام، وفيات ٥٠٧هـ، ص ١٧٥-١٧٧.
- ٢٧- تاريخ الإسلام، وفيات ٥٠٧هـ، ص ١٧٢.
- ٢٨- التقييد، ٥٧/١.
- ٢٩- المقفى الكبير، ٧٣٤/٥١.

- ٣٠- التقييد، ٥٦/١.
- ٣١- المقفى الكبير، ٧٣٤/٥.
- ٣٢- التقييد، ١٠٩/١.
- ٣٣- الوافي بالوفيات، ١٦٦/٣.
- ٣٤- هو صاحب الترغيب والترهيب والحجة في بيان المحجة، ودلائل النبوة،  
إمام مشهور.
- ٣٥- السير: ٣٦٣/١٩، والتذكرة: ١٢٤٣/٤، والعبر: ٣٩٠/٢،  
والمقفى الكبير: ٧٣٩/٥.
- ٣٦- السير: ٣٦٣/١٩، والتذكرة: ١٢٤٣/٤، والمقفى الكبير: ٧٣٩/٥.
- ٣٧- السير: ٣٦٥/١٩، والتذكرة: ١٢٤٥/٤، والمقفى الكبير: ٧٣٨/٥.
- ٣٨- السير: ٣٦٣/١٩.
- ٣٩- المقفى الكبير: ٧٣٨/٥.
- ٤٠- السير: ٣٧١/١٩.
- ٤١- المقفى الكبير: ٧٣٩/٥.
- ٤٢- مجموع الفتاوى: ٥٧٩/١١، وتراث المسلمين العلمي في نظر شيخ  
الإسلام ابن تيمية، ص ١٨١.
- ٤٣- البداية والنهاية: ١٧٦/١٢.
- ٤٤- العبر: ٣٩٠ / ٢.
- ٤٥- الإعلان بالتويخ لمن ذم أهل التاريخ، ص ٣٤٩.
- ٤٦- المقفى الكبير: ٧٣٨/٥.
- ٤٧- السير: ٣٦٣ / ١٩.
- ٤٨- السير: ٣٦٥/١٩.
- ٤٩- السير: ٣٦٤/١٩.
- ٥٠- ميزان الاعتدال: ٥٨٧/٣.
- ٥١- الاستقامة لابن تيمية: ١٦٧/١.
- ٥٢- مسألة التسمية، ص ٢٦.

- ٥٣ - مسألة العلو والنزول ص ٤٩-٥٠.
- ٥٤ - مسألة التسمية، ١٩-٢١.
- ٥٥ - السير: ٣٦٣/١٩، والتذكرة: ١٢٤٢/٤.
- ٥٦ - المقفى الكبير، ٧٣٨/٥.
- ٥٧ - السير: ٣٦٤-٣٦٥/١٩، والتذكرة: ١٢٤٤/٤.
- ٥٨ - التذكرة: ١٢٤٤/٤.
- ٥٩ - السير: ٣٦٥/١٩.
- ٦٠ - السير: ٣٦٥/١٩.
- ٦١ - السير: ٣٦١/١٩.
- ٦٢ - السير: ٣٦٤/١٩، والتذكرة: ١٢٤٤/٤.
- ٦٣ - هو الواعظ المؤرخ شمس الدين أبو المظفر سبط ابن الجوزي، روى عن جده وطائفة، وألف كتاب: "مرآة الزمان"، قال الذهبي: فتراه يأتي فيه بمناكير الحكايات، وما أظنه بثقة فيما ينقله، بل يحنف ويجازف، ثم إنه ترفض، وله مؤلف في ذلك - نسأل الله العافية - مات سنة أربع وخمسين وست مائة.
- انظر: ميزان الاعتدال: ٤/٤٧١، ولسان الميزان: ٦/٣٢٨.
- وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: هذا الرجل يذكر في مصنفاته أنواعاً من الغث والسمين، ويحتج في أغراضه بأحاديث كثيرة ضعيفة موضوعة، وكان يصنف بحسب مقاصد الناس، يصنف للشيعة ما يناسبهم ليعوضوه بذلك، ويصنف على مذهب أبي حنيفة لبعض الملوك لينال بذلك أغراضه، فكانت طريقته طريقة الواعظ الذي قيل له: ما مذهبك؟ قال: في أي مدينة؟ وبهذا يوجد في بعض كتبه ثلب الخلفاء الراشدين وغيرهم من الصحابة لأجل مذاهب من قصد بذلك من الشيعة، ويوجد في بعضها تعظيم الخلفاء الراشدين وغيرهم (منهاج السنة ١٦٧/٢)، وتراث المسلمين العلمي في نظر شيخ الإسلام ابن تيمية (١٨٤-١٨٥).

- ٦٤ المنتظم: ١٣٦/١٧-١٣٧، ومرآة الزمان لسبط ابن الجوزي بتحقيق مسفر بن سالم الغامدي، ط ١ جامعة أم القرى عام ١٤٧٠هـ (٥٨٤/٢)، والوافي بالوفيات: ١٦٧/٣.
- ٦٥ التذكرة: ١٢٤٤/٤، والسير: ٣٦٤/١٩.
- ٦٦ ورد في تاريخ الإسلام: سيء وهو تحريف فاحش.
- ٦٧ تاريخ الإسلام وفيات ٥٠٧هـ، ص ١٧٤.
- ٦٨ ميزان الاعتدال: ٥٨٧/٣.
- ٦٩ أحاديث ذم الفناء والمعازف، ٩-١٣.
- ٧٠ المقفى الكبير: ٧٣٨/٥.
- ٧١ المقفى الكبير: ٧٣٨/٥.
- ٧٢ السير: ٣٦٦/١٩، والمقفى الكبير: ٧٣٨/٥.
- ٧٣ المقفى الكبير: ٧٣٩/٥.
- ٧٤ المقفى الكبير: ٧٣٩/٥.
- ٧٥ التقييد: ٥٧/١.
- ٧٦ المقفى الكبير: ٧٣٩/٥.
- ٧٧ التذكرة: ١٢٤٣/٤، والعبر: ٣٩٠/٢.
- ٧٨ تاريخ دمشق: ٢٤٣/٢/١٥ أ.
- ٧٩ راجع: السير: ٣٦٧/١٩.
- ٨٠ تاريخ الإسلام للذهبي وفيات ٥٠٧هـ، ص ١٧٥.
- ٨١ السير: ٣٧١/١٩، والمقفى الكبير: ٧٤٢/٥.
- ٨٢ السير: ٣٧١/١٩، والمقفى الكبير: ٧٤٢/٥.
- ٨٣ التقييد: ٥٧/١.
- ٨٤ التذكرة: ١٢٤٥/٤.
- ٨٥ المقفى الكبير: ٧٤٢/٥.